بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل

مما قال الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : لما ارتاب بعض من يدعى العلم من أهل العيينة . لمّا ارتدّ أهل حريملا فسئل الشيخ أن يكتب كلاماً ينفعه الله به : فقال رحمه الله تعالى :

– بسم الله الرحمن الرحيم(*) .

(روى مسلم في صحيحه) عن عمر بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال : كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان قال : فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً جراء(١) عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له وما أنت(٢) ؟ قال :

(*) اعتمدنا في إثبات البسملة هنا على قول ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام (قال الشيخ رحمه الله بسم الله الرحمن الرحيم) .

(١) بالجيم المضمومة جمع جرىء بالهمز من الجراءة وهي الإقدام والتسلط . قال النووي في شرح صحيح مسلم هكذا هو في جميع الأصول ا هـ . قلت وكذلك ورد اللفظ في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي جميع ما لدينا من المخطوطات . فما وقع في بعض نسخ الكتاب المطبوعة بلفظ (جرأ) بصيغة الماضي ليس بصواب .

(٢) قال النووي هكذا هو في الأصول « ما أنت » وإنما قال « ما أنت » ولم يقل من أنت لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته » .

أنا نبي ، قلت : وما نبي ؟ قال : أرسلني الله فقلت : بأي شيء أرسلك ؟ قال : أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحّدَ الله لا يُشْرك به شيء . فقلت له فمن معك على هذا ؟ قال : حر وعبد . قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن معه فقلت : إني متبعك قال : إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا . ألا ترى حالي وحال الناس ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني قال : فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكنت في أهلي فجعلت أتخبّر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم نفر من أهل يثرب من أهل المدينة (١) فقلت : ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة ؟ فقالوا الناس إليه سراع وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك فقدمت المدينة فدخلت(٢) عليه فقلت يارسول الله ، أتعرفني ؟ قال : نعم(٣) أنت الذي لقيتني بمكة . قال : قلت بلى ، فقلت : يا نبي الله أخبرني(٤) عما علمك الله وأجهله . أخبرني عن الصلاة . قال : صلِّ صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وحتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صل فإن الصلاة مشهودة

---

(١) لفظ « من أهل المدينة » في جميع النسخ الخطية وفي صحيح مسلم فسقوطه في بعض النسخ المطبوعة من قبل بعض النساخ .

(٢) سقط لفظ « فدخلت عليه » من بعض نسخ الكتاب والصواب إثباته لأنه الموافق لنص صحيح مسلم .

(٣) سقط لفظ « نعم » في بعض نسخ الكتاب وثبت في بعضها وفي اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو الموافق لنص صحيح مسلم .

(٤) هذا لفظ مسلم – قال النووي هكذا هو (عما علمك الله) وهو صحيح ومعناه أخبرني عن حكمه وصفته وبينه لي .

محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة فإنها (١) حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفيء فصل(٢) فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار وذكر الحديث .

(قال أبو العباس رحمه الله تعالى) : فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب معللا ذلك النهي بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وأنه حينئذ يسجد لها الكفار ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان ولا أن الكفار يسجدون لها ثم إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسماً لمادة المشابهة .

ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجبه الأيمن(٣) ولم يصمد له صمداً ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة ولهذا ينهي(٤) عن السجود لله بين يدي الرجل لما فيه من مشابهة السجود لغير الله(٥) انتهى كلامه(٦) .

---

(١) كذا في جميع ما لدينا من النسخ الخطية سوى مخطوطة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله ففيها : « فإن حينئذ » وهكذا في « اقتضاء الصراط المستقيم » وأما نسخ صحيح مسلم فيما لدي منها (فإنه حينئذ) .

(٢) سقط لفظ فصل في بعض النسخ والصواب إثباته كما في البعض الآخر وفي اقتضاء الصراط المستقيم لأنه الموافق للفظ صحيح مسلم .

(٣) في اقتضاء الصراط المستقيم (أو الأيسر) .

(٤) لفظ « ينهى » هو الموجود في اقتضاء الصراط المستقيم وفي النسخة التي في روضة الأفهام لابن غنام ووقع في بعض نسخ الكتاب (نهى) .

(٥) (وإن لم يكن العابد يقصد ذلك) ما بين القوسين من إقتضاء الصراط المستقيم .

(٦) انتهى كلامه في نسخة سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله انتهى كلام أبي العباس .

فليتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما في هذا الحديث من العبر فإن الله سبحانه وتعالى يقص علينا أخبار الأنبياء وأتباعهم ليكون للمؤمن من المستأخرين عبرة فيقيس حاله بحالهم وقص قصص الكفار والمنافقين لتجتنب من تلبس بها أيضاً . فمما فيه من الاعتبار أن هذا الأعرابي الجاهلي لما ذكر له أن رجلا بمكة يتكلم في الدين بما يخالف الناس لم يصبر حتى ركب راحلته فقدم عليه وعلم ما عنده لما في قلبه من محبة الدين والخير وهذا فسربه قوله تعالى : « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم » أي حرصاً على تعلم الدين لأسمعهم أي لأفهمهم . فهذا يدل على أن عدم الفهم في أكثر الناس اليوم عدل منه سبحانه لما يعلم في قلوبهم من عدم الحرص على تعلم الدين . فتبين أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شر الدواب هو عدم الحرص على تعلم الدين فإذا كان هذا الجاهلي يطلب هذا الطلب فما عذر من ادعى اتباع الأنبياء وبلغه عنهم ما بلغه وعنده من يَعْرض عليه التعليم ولا يرفع بذلك رأساً ؟ فإن حضر أو استمع فكما قال تعالى : « ما يأتيهم من ذكْر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم » وفيه من العبر أيضاً أنه لما قال أرسلني الله قال بأي شيء أرسلك ؟ قال بكذا وكذا . فتبين أن زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وكسر الأوثان ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف فتأمل زبدة الرسالة وفيه أيضاً أنه فهم المراد من التوحيد وفهم أنه أمر كبير غريب . ولأجل هذا قال من معك على هذا ؟ قال : حر وعبد فأجابه : إن جميع العلماء والعباد والملوك والعامة مخالفون له ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون مع أقل القليل وأن الباطل قد يملأ الأرض.

ولله در الفضيل بن عياض – رحمه الله – حيث يقول : لا تستوحش ، من الحق لقلة السالكين ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين وأحسن منه قوله تعالى : « ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين » .

وفي الصحيحين أن بعث النار من كل ألف تسعة وتسعون وتسعمائة وفي الجنة واحد من كل ألف . ولما بكوا من هذا لما سمعوه قال صلى الله عليه وسلم : إنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلاّ أكملت من المنافقين . قال الترمذي حسن صحيح فإذا تأمل الإنسان ما في هذا الحديث من صفة بدء الإسلام ومن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ثم ضم إليه الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ تبين له الأمر إن هداه الله وانزاحت عنه الحجة الفرعونية « فمال بال القرون الأولى » والحجة القرشية « ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة » .

(وقال أبو العباس) – رحمه الله تعالى – في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم في الكلام على قوله تعالى : « وما أهل به لغير الله » ظاهره أنه ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه النصراني(١) للحم وقال فيه بسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه بسم الله فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور .

---

(١) لفظ (النصراني) من اقتضاء (الصراط المستقيم) .

والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله . فلو ذبح لغير الله متقرباً به إليه لحرم وإن قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبائحهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان . ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن . انتهى كلام الشيخ وهو الذي الذي ينسب إليه بعض أعداء الدين أنه لا يكفر المعين فانظر أرشدك(١) الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة وتصريحه أن المنافق يصير مرتداً بذلك وهذا في المعين إذلا يتصور أن تحرم إلا ذبيحة معين (وقال أيضاً) في الكتاب المذكور وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة : اللات والعزى ، ومنات . وكل واحد منها لمصرٍ من أمصار العرب فكانت اللات لأهل الطائف ذكروا أنه كان في الأصل رجلاً صالحاً يلت السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره . وأما العزى فكانت لأهل مكة قريباً من عرفات وكانت هناك(٢) شجرة يذبحون عندها ويدعون . وأما منات فكانت لأهل المدينة وكانت حذو قديد من ناحية الساحل .

ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادتهم الأوثان ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن فلينظر إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال العرب في زمانه وما ذكره

---

(١) كذا في مخطوطة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ومخطوطة سماحة المفتي الشيخ محمد بن ابراهيم التي بخط عبد العزيز بن ناصر بن راشد وقع في مخطوطته الثانية التي هي بخط سالم ابن علي (رحمك الله) وكذا في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام .

(٢) ذكر لفظ « هناك » في أكثر النسخ الخطية وفي اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية .

الأزرقي في أخبار مكة وغيره من العلماء ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط فقال بعض الناس يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال : الله أكبر إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم فأنكر صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها أسلحتهم فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه إلى أن قال : (فمن ذلك عدة أمكنة بدمشق) مثل مسجد يقال له مسجد الكف . فيه تمثال كف يقال إنه كف عليّ بن أبي طالب حتى هدم الله ذلك الوثن وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في البلاد وفي الحجاز منها مواضع ثم ذكر كلاماً طويلا في نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند القبور فقال : العلة لما يفضى إليه ذلك من الشرك ذكر ذلك الشافعي وغيره وكذلك الأئمة من أصحاب مالك وأحمد كأبي بكر الأثرم وعللوا بهذه العلة وقد قال تعالى : « وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » الآية .

ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صورا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم . ذكر هذا البخاري في صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره ومما يبين صحة هذه العلة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد . ومعلوم أن قبور الأنبياء لا يكون ترابها نجساً وقال عن نفسه : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) فعلم أن نهيه عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها سدًّا للذريعة لئـــلا يصلي في هذه الساعة وإن كان المصلي لايصلي إلا لله ولا يدعو إلا الله لئلا يفضي ذلك إلى دعائها والصلاة لها . وكلا

الأمرين قد وقع . فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعوها بأنواع الأدعية . وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام وصنف بعض المشهورين(١) فيه كتاباً على مذهب المشركين مثل أبي معشر البلخي وثابت بن قرة وأمثالهما ممن دخل في الشرك وآمن بالطاغوت والجبت وهم ينتسبون إلى الكتاب كما قال تعالى : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » انتهى كلام الشيخ رحمه الله .

فانظر رحمك الله إلى هذا الإمام الذي ينسب عنه من أزاع الله قلبه عدم تكفير المعين كيف ذكر عن مثل الفخر الرازي وهو من أكابر أئمة الشافعية ومثل أبي معشر وهو من أكابر المشهورين من المصنفين وغيرهما أنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام والفخر هو الذي ذكره الشيخ في الرد على المتكلمين لما ذكر تصنيفه الذي ذكر هنا قال : وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين وسيأتي كلامه إن شاء الله تعالى .

(وتأمل أيضاً ما ذكره) في اللات والعزى ومنات وجعله فعل المشركين معها هو بعينه الذي يفعل بدمشق(٢) وغيرها وتأمل قوله على حديث

---

(١) كذا في نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ونسخة سماحة المفتي الشيخ محمد ابن ابراهيم التي بخط عبد العزيز بن ناصر . وهو الصواب لموافقته ما في كتاب « نقض المنطق » لشيخ الإسلام ابن تيمية . ووقع في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وبعض نسخ الكتاب المخطوطة بلفظ « المشركين » وهو خطأ

(٢) هذا نص مخطوطة سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم التي بخط عبد العزيز بن ناصر . وفي روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وبقية النسخ الخطية « وجعله بعينه هذا الذي يفعل بدمشق وغيرها » .

ذات أنواط هذا قوله في مجرد مشابهتهم في اتخاذ شجرة فكيف بما هو أعظم من ذلك من الشرك بعينه ؟ فهل للزائغ بعد هذا متعلق بشيء من كلام هذا الإمام ؟ وأنا أذكر لفظه الذي احتجوا به على زيغهم .

(قال رحمه الله تعالى) انا من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً(١) أخرى انتهى كلامه وهذا صفة كلامه في المسألة في كل موضع وقفنا عليه من كلامه لايذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال أن المراد بالتوقف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة وإذا بلغته حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير أو تفسيق أو معصية وصرح رضي الله عنه أيضاً أن كلامه أيضاً(٢) في غير المسائل الظاهرة فقال في الرد على المتكلمين(٣) لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منه الردة عن الإسلام كثيراً قال : وهذا إن كان في المقالات الخفية فقد يقال إنه فيها مخطيء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها لكن هذا يصدر عنهم في أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سقط لفظ « وعاصياً أخرى » في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي بعض النسخ الخطية والمناسب لورود لفظ « أو معصية » في هذه العبارة ذكره كما ورد في مخطوطة سماحة المفتي الشيخ محمد بن ابراهيم بخط عبد العزيز بن ناصر ومخطوطة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ .

(٢) كذا ورد لفظ « أيضاً » في هذين الموضعين في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي مخطوطة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ومخطوطة سماحة المفتي الشيخ محمد بن ابراهيم التي بخط سالم بن علي .

(٣) يعني بذلك « نقض المنطق » لشيخ الإسلام ابن تيمية .

وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل أمره(١) بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم فإن هذا أظهر شعائر الإسلام ومثل إيجاب الصلوات الخمس وتعظيم شأنها ومثل تحريم الفواحش والربى والخمر والميسر ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبوعبدالله الرازي (يعني الفخر الرازى)(٢) قال وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين انتهى كلامه(٣) .

فتأمل هذا وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التي يذكرها أعداء الله لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً على أن الذي نعتقده وندين الله به ونرجو أن يثبتنا عليه أنه لو غلط هو أو أجل منه في هذه المسألة وهي مسألة المسلم إذا أشرك بالله بعد بلوغ الحجة أو المسلم الذي يفضل هذا على الموحدين أو يزعم أنه على حق أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذي بينه الله ورسوله وبينه علماء الأمة أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله من تكفيره(٤) ولو غلط من غلط فكيف والحمد لله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافاً في

---

(١) لفظ « أمـــره » من نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية صفحة ٤٥ الطبعة الأولى بمطبعة السنة المحمدية .

(٢) هذه العبارة التي بين قوسين مثبتة في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي أكثر النسخ الخطية وسقطت في مخطوطة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ .

(٣) أي في نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٥ – ٤٧ وقد اقتصر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب منه على ما هنا .

(٤) لفظ « من تكفيره » ليس في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام ، ولا في أكثر النسخ الخطية ، وهو في نسخة سماحة المفتي الشيخ محمد بن ابراهيم التي بخط عبد العزيز ابن ناصر .

هذه المسألة ؟ وإنما يلجأ من شاق فيها إلى حجة فرعون « فما بال القرون الأولى » ؟ أو حجة قريش « ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة » .

قال الشيخ رحمه الله في الرسالة السنية : لمـــا ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وأمره صلى الله عليه وسلم بقتالهم قال : فإذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر صلى الله عليه وسلم بقتالهم فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة قد يمرق أيضاً من الإسلام في هذه الأزمان(١) وذلك بأسباب : منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث يقول : « يا أهـــل الكتاب لا تغلوا في دينكم » الآية وعلي بن أبي طالب حرق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في عليّ بن أبي طالب بل الغلو في المسيح ونحوه فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني أو أغثني أو ارزقني أو اجبرني أو أنا في حسبك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبها فإن تاب وإلا قتل فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا شريك له لا يجعل معه إله آخر .

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم

---

(١) وقع لفظ « في هذه الأزمان » في هذا الموقع في بعض النسخ الخطية ووقع في « روضة الأفكار والأفهام لابن غنام » و « مخطوطة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ومخطوطة سماحة المفتي التي هي بخط سالم بن علي إثر قوله « أو السنة » وقبل قوله « قد يمرق » .

يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون صورهم(١) ويقولون : إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله رسله تنهي أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة قال تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » الآية . قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة (٢) ثم ذكر رحمه الله تعالى آيات ثم قال وعبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين وهي التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب قال تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » وقال تعالى : «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل ما شاء الله وشئت قال أجعلتني لله نداً ؟ بل ماشاء الله وحده ونهى عن الحلف بغير الله وقال من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك وقال في مرض موته : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وقال اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد وقال لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور . ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي

---

(١) في الأصل « يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم » ولكن لفظ قبورهم لا يناسب قوله : « مثل المسيح والملائكة والأصنام » لأنه لا قبور لهم .

(٢) تمام عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية « فقال الله لهم هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون إلي كما تتقربون إلي ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي » .

صلى الله عليه وسلم عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لأنه إنما يكون ذلك لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا إلاّ به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما (١) قال الله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » الآية ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه وأعظم آية في القرآن آية الكرسي « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه من الدنيا (٢) لا إله إلا الله دخل الجنة والإله هو الذي تؤلهه القلوب عبادة له واستعانة به ورجاء له وخشية وإجلالا انتهى كلامه رحمه الله تعالى(٣) .

فتأمل أول الكلام وآخره وتأمل كلامه فيمن دعا نبياً أو ولياً مثل أن يقول : يا سيدي فلان أغثني ونحوه أنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل هل يكون هذا إلا في المعين والله المستعان وتأمل كلامه في اللات والعزى ومنات وما ذكر بعده يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى :

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : في شرح المنازل في باب التوبة : « وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله بل أكثرهم يحبون آلهتهم

---

(١) ورد لفظ « كما » في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي نسخة الشيخ محمد ابن عبد اللطيف آل الشيخ ونسخة سماحة المفتي التي هي بخط عبد العزيز بن ناصر وذلك هو الموافق لما في الرسالة السنية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) زيادة لفظ « من الدنيا » من روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي نسخة سماحة المفتي التي هي بخط عبد العزيز بن ناصر .

(٣) ملخصاً .

أعظم من محبة الله ويغضبون لمنتقص معبودهم من المشائخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين . وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه « ديدنا له » (١) إن قام وإن قعد وإن عثر وإن استوحش وهو لا ينكر ذلك ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده وهكذا كان عباد الأصنام سواء وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرهم اتخذوها من البشر قال الله تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى » الآية فهذه حال من اتخذ من دون الله ولياً يزعم أنه يقربه إلى الله تعالى وما أعز من يتخلص من هذا بل ما أعز من لا (٢) يعادي من أنكره والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك . وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له » ثم ذكر الشيخ – يعني ابن القيم رحمه الله(٣) فصلا طويلا في ذكر(٤) هذا الشرك الأكبر .

ولكن تأمل قوله : « وما أعز من يتخلص من هـــذا بل ما أعز من

---

(١) لفظ « ديدنا له » من مدارج السالكين شرح المنازل .

(٢) سقط لفظ « لا » في بعض النسخ الخطية . والصواب إثباته كما وقع في أكثرها وفي مدارج السالكين .

(٣) عبارة يعني ابن القيم من نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله .

(٤) لفظ « ذكر » هنا هو الذي ورد في هامش مخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين رحمه الله ومعه لفظ « صح » بعد الضرب على لفظ « تقرير » الذي ورد في النسخ الخطية وغير الخطية .

لا يعادي من أنكره » يتبين لك بطلان الشبهة التي أدلى بها الملحد وزعم أن كلام الشيخ (في الفصل الثاني يدل عليها وسيأتي تقريره إن شاء الله تعالى وذكر)(١) في آخر هذا الفصل أعني الفصل الأول في الشرك الأكبر الآية التي في سورة سبأ « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله » إلى قوله « إلا لمن أذن له » وتكلم عليها ثم قال : والقرآن مملوء من أمثالها . ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثاً . وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (انما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية فتنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهـــواء والبدع ومن له بصيرة وقلب حيّ يرى ذلك عياناً فالله المستعان .

(فصـــل)

وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والحلف بغير الله وقول هذا من الله ومنك وأنا بالله وبك ومالي إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وكذا وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده

---

(١) قوله : « في الفصل الثاني . . . . إلى قوله في آخر هذا الفصل » لم يذكر في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام والظاهر أن سقوطه من قبل النساخ لأن ذكره هو الموافق لما في مدارج السالكين والنسخ الخطية .

ثم قال الشيخ يعني ابن القيم(١) رحمه الله تعالى بعد ذكر الشرك الأكبر والأصغر: ومن أنواع هذا الشرك سجود المريد(٢) للشيخ ومن أنواعه التوبة للشيخ فإنها شرك عظيم ومن أنواعه النذر لغير الله والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والإنابة والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره وإضافة نعمه إلى غيره ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم . فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلا لمن استغاث به أو سأله أن يشفع له إلى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلاّ بإذنه والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لإذنه وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن . والميت محتاج إلى من يدعو له كما أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل الله لهم العافية والمغفرة . فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثاناً تُعْبَدُ فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى تنقص الأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه المؤمنين بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا أو أنهم أمروهم به وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم . ولله در خليله ابراهيم عليه السلام حيث يقـــول : « واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيراً من

---

(١) عبارة « يعني ابن القيم » من نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله .

(٢) لفظ « سجود المريد » ورد هكذا في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وأكثر النسخ الخطية ومدارج السالكين .

الناس » وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد التوحيد لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله) انتهى كلامه(١) .

(والمراد بهذا) أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ أن هذا شرك أصغر . وشبهته أنه ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر في أوله الأصغر وأنت رحمك الله تجد الكلام من أوله إلى آخره في الفصل الأول والثاني صريحاً لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة منها : أن دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر الذي بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عنه فكفر من لم يتب منه وقاتله وعاداه وآخر ما صرح به قوله آنفاً (وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر) إلى آخره (فهل بعد هذا البيان بيان إلاّ العناد) ؟ بل الإلحاد ولكن تأمل قوله : (أرشدك الله وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين إلى آخره)(٢) وتأمل أن الإسلام لا يصح إلاّ بمعاداة أهل الشرك الأكبر وإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله (وقد ذكر في الإقناع عن الشيخ) تقي الدين أن من دعا علي بن أبي طالب فهو كافر وأن من شك في كفره فهو كافر فإذا كان هذا حال من شك في كفره مع عداوته له ومقته له فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده فكيف بمن أحبه ؟ فكيف بمن جادل عنه . وعن طريقته وتعذر أنا لا نقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك وقد قال تعالى : « وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » فإذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعذر عن التبيين بالعمل بالتوحيد ومعاداة المشركين بالخوف على أهله وعياله فكيف

---

(١) مختصراً .

(٢) سقط قوله (فهل) إلى قوله (إلى آخره) في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام ، وأثبت في جميع النسخ الخطية .

بمن اعتذر في ذلك بتحصيل التجارة ؟ ولكن الأمر كما تقدم عن عمر رضي الله عنه إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية (لهذا لم يفهم معنى القرآن (وأنه أشر وأفسد من الذين قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) .

ومع هذا فالكلام الذي يظهرونه نفاق وإلا فَهُمْ يعتقدون أن أهل التوحيد ضالون مضلون وأن عبدة الأوثان أهل الحق والصواب كما صرح به إمامهم في الرسالة التي أتتكم قبل هذه خطه بيده يقول بيني وبينكم أهل هذه الأقطار وهم خير أمة أخرجت للناس وهم كذا وكذا فإذا كان يريد التحاكم إليهم ويصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس فكيف أيضاً يصفهم بشرك ومخالطتهم للحاجة ؟ وما أحسن قول أصدق القائلين : « والسماء ذات الحبك إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك ، بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج » فرحم الله أمرأ نظر(١) لنفسه وتفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله من معاداة من أشرك بالله من قريب أو بعيد وتكفيرهم وقتالهم حتى يكون الدين كله لله . وعلم ما حَكَمَ به محمد صلى الله عليه وسلم فيمن أشرك بالله مع ادعائه الإسلام وما حكم به في ذلك الخلفاء الراشدون كعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره لما حرقهم بالنار مع أن غيرهم من أهل الأوثان الذين لم يدخلوا في الإسلام لا يقتلون بالتحريق والله الموفق .

وقال أبو العباس أحمد(٢) بن تيمية في الرد على المتكلمين(٣) لما

---

(١) كذا في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي أكثر النسخ الخطية ووقع في نسخة سماحة المفتي التي بخط سالم بن علي (نظر في نفسه) .

(٢) لفظ (أحمد) من نسخة سماحة المفتي التي هي بقلم عبد العزيز بن ناصر .

(٣) كتاب « نقض المنطق » .

ذكر بعض أحوال(١) أئمتهم قال : (وكل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحاً ما فقد يرجح غيره المشركين وقد يعرض عن الأمرين جميعاً فتدبر هذا فإنه نافع جداً . ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد بل يسوغون الشرك أو يأمرون به أو لا يوجبون التوحيد وقد رأيت من مصنفاتهم في عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة . أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك وهم إذا ادعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له وهذا شيء لا يعرفونه فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة بل لا بد من أن يعبد الله وحده ويتخذ إلهاً دون ما سواه وهذا هو معنى قول لا إله إلا الله) انتهى كلام الشيخ(٢) .

فتأمل رحمك الله هذا الكلام فإنه مثل ما قال الشيخ فيه نافع جداً ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين حال من أقر بهذا الدين وشهد أنه الحق وأن الشرك هو الباطل وقال بلسانه ما أريد منه ولكن لا يدين بذلك إما بغضاً له أو عدم محبته كما هي حال المنافقين الذين بين أظهرنا وإما إيثاراً للدنيا

---

(١) كذا في جميع ما لدينا من النسخ الخطية ووقع في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام (أحوال بعض أئمتهم) .

(٢) في نقض المنطق صفحة ١٧٧ طبعة مطبعة السنة المحمدية .

مثـــل تجارة أو غيرها فيدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه كما قال تعالى : « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا » الآية وقال تعـــالى : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره » إلى قوله : « ذلك بأنهم استحبوا الحياه الدنيا على الآخرة فإذا قال هؤلاء بألسنتهم نشهد أن هذا دين الله ورسوله ونشهد أن المخالف له باطل وأنه الشرك بالله غر هذا الكلام ضعيف البصيرة وأعظم من هذا وأطم أن أهل حريملا ومن وراءهم يصرحون بمسبة الدين وأن الحق ما عليه أكثر الناس يستدلون بالكثرة على حسن ما هم فيه من الدين ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الردة وأفحشها فإذا قالوا التوحيد حق والشرك باطل وأيضاً لم يحدثوا في بلدهم أوثاناً جادل الملحد عنهم وقال إنهم يقرون أن هذا شرك وأن التوحيد هو الحق ولا يضرهم عنده ما هم عليه من السب لدين الله وبغى العوج له ومدح الشرك وذبهم دونه بالمال واليد واللسان فالله المستعان .

وقال أبو العباس أيضاً في الكلام على كفر ما نعي الزكاة : والصحابة لم يقولوا هل أنت مقر بوجوبها أوجاحد لها هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة بل قال الصديق لعمر رضي الله عنهما : (والله لو منعوني عقالا أو عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه) فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب وقد روى أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بهـــا ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهي مقاتلتهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهـــم والشهادة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة ، وكان من أعظم فضائل الصديق

رضي الله عنه عندهم أن ثبته الله على[1] قتالهم ولم يتوقف كما يتوقف غيره فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله : وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم) انتهى[2] .

فتأمل كلامه رحمه الله في تكفير المعين والشهادة عليه إذا قتل بالنار وسبي حريمه وأولاده عند منع الزكاة فهذا الذي ينسب عنه أعداء الدين عدم تكفير المعين . قال رحمه الله بعد ذلك : (وكفر هؤلاء وإدخالهم في أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة) .

ومن أعظم ما يحل الإشكال في مسألة التكفير والقتال عمن قصد اتباع الحق إجماع الصحابة على قتال ما نعى الزكاة وإدخالهم في أهل الردة وسبي ذراريهم وفعلهم فيهم ما صح عنهم وهو أول قتال وقع في الإسلام على من ادعى أنه من المسلمين فهذه أول وقعة وقعت في الإسلام على هذا النوع أعني المدعين للإسلام وهي أوضح الوقعات التي وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى وقتنا هذا .

وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيـــل : (لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام[3] عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها

---

(١) لفظ (على) هو الذي ورد في نسخة سماحة المفتي التي هي بخط عبد العزيز بن ناصر ومخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين ووقع في بعض النسخ (عند) بدل (على) .

(٢) كذا في بعض النسخ ووقع في نسخة سماحة المفتي التي هي بخط عبد العزيز ابن ناصر ومخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين انتهى كلام الشيخ .

(٣) « الطغام » بالغين المعجمة : أوغاد الناس كما في مختار الصحاح .

يا مولاي افعل بي كذا وكذا وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى) انتهى كلامه[1] . والمراد منه قوله : (وهم عندي كفار بهـذه الأوضاع) وقال أيضاً في كتاب الفنون لقد عظم الله الحيوان لا سيما ابن آدم حيث أباحه الشرك عند الإكراه فمن قدم حرمة نفسك على حرمته حتى أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه لحقيق أن تعظم شعائره وتوقر أوامره وزواجره وعصم[2] عرضك بإيجاب الحد بقذفك وعصم مالك بقطع يد مسلم في سرقته وأسقط شطر الصلاة في السفر لأجل مشقتك وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقاً عليك من مشقة الخلع واللبس وأباحك الميتة سداً لرمقك وحفظاً لصحتك وزجرك عن مضارك بحد عاجل ووعيد آجل وخرق العوائد لأجلك وأنزل الكتب إليك أيحسن لك مع هذا الإكرام أن يراك على ما نهاك عنه[3] منهمكاً ولما أمرك تاركاً ؟ وعلى ما زجرك مرتكباً ؟ وعن داعيه معرضاً ولداعي عدوه فيك مطيعاً يعظمك وهو هو وتهمل أمره وأنت أنت هو حط رتبة [4] عباده لأجلك وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجدها لأبيك[5] هل عاديت خادماً طالت

---

(١) وقد ذكره العلامة ابن القيم في الفصل الذي عقده في إغاثة اللهفان لبيان أعظم المكائد التي كاد بها الشيطان أكثر الناس ولم ينج منها إلا من لم يرد الله فتنته .

(٢) ورد هذا اللفظ (عصم) بالصاد المهملة في الموضعين في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي أكثر النسخ الخطية وورد في بعض النسخ بالظاء (عظم)

(٣) لفظ « عنه » من نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ونسخة سماحة المفتي التي هي بخط عبد العزيز بن ناصر .

(٤) في أكثر النسخ (رتب) وقوله (حط رتبة عباده لأجلك) لعل المراد بذلك أمر الملائكة بالسجود لآدم . وهو وإن كانت فيه رفعة لآدم ففيه رفعة لهم حيث امتثلوا أمر الله عز وجل . فالقضية تدل على فضل الجميع .

(٥) كذا في النسخ الخطية (لك) ووقع في بعض النسخ المطبوعة (لأبيك) وهو أوضح .

خدمته لك لترك صلاة هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي فإن لم تعترف اعتراف العبد (للمولي) فلا أقل أن تقتضي نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المساوى المكافي ما أفحش(١) ما تلاعب الشيطان بالإنسان ! ! بينا هو بحضرة الحق سبحانه وملائكة السماء سجود له ترامى به الأحوال والجهات إلى أن يوجد ساجداً لصورة في حجر أو لشجرة من الشجر أو لشمس أولقمر أو لصورة ثور خار أو لطائر صفر ما أوحش(٢) زوال النعم وتغير الأحوال والحور بعد الكور لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن يرى إلا عابداً لله في دار التكليف أو مجاوراً(٣) لله في دار الجزاء والتشريف وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها انتهى كلامه .

والمراد منه أنه جعل أقبح حال وأفحشها من أحوال الإنسان أن يشرك بالله ومثله بأنواع . منها السجود للشمس أو للقمر ومنها السجود للصورة كما في الصور التي في القباب(٤) على القبور والسجود قد يكون بالجبهة على الأرض وقد يكون بالانحناء من غير وصول إلى الأرض كما فسر به قوله تعـــالى : « ادخلوا الباب سجداً » قال ابن عباس أي ركّعاً وقال ابن القيم

---

(١) في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام ونسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ (ما أوحش) وفي بقية النسخ (ما أفحش) كما أثبتناه .

(٢) لم تختلف النسخ الخطية في عبارة (ما أوحش) هنا وهكذا في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام .

(٣) لفظ (مجاوراً) هو الذي ورد في نسختي سماحة المفتي ومخطوطة الشيخ عبد الرحمن ابن عبد العزيز الحصين وهو الصواب لا ما وقع في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام . وفي بعض النسخ الخطية بلفظ (مجازياً) .

(٤) ورد لفظ (القباب) في هذه العبارة في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي النسخ الخطية وسقط في بعض النسخ المطبوعة .

في إغاثة اللهفان في إنكار تعظيم القبور : (وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً سماه مناسك المشاهد ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام)[1] انتهى وهذا الذي ذكره ابن القيم رجل من المصنفين يقال له ابن المفيد فقد رأيت ما قال فيه بعينه فكيف ينكر تكفير المعين ؟ وأما كلام سائر أتباع الأئمة في التكفير فذكر منه قليلا من كثير . (أما كلام الحنفية) فكلامهم في هذا الباب[2] من أغلظ الكلام حتى إنهم يكفرون المعين إذا قال مصيحف أو مسيجد وصلى صلاة بلا وضوء ونحو ذلك وقال في النهر الفائق واعلم أن الشيخ قاسماً قال في شرح درر البحار : إن النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلا يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي فلك من الذهب أو الفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل اجماعاً لوجوه) إلى أن قال : (ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر واعتقاده هذا كفر) إلى أن قال : (وقد ابتلى الناس بذلك لا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي) انتهى كلامه . فانظر إلى تصريحه أن هذا كفر مع قوله إنه يقع من أكثر العوام وأن أهل العلم قد ابتلوا بما لا قدرة لهم على إزالته (وقال القرطبي) : – رحمه الله – لما ذكر سماع الفقر أو صورته قال هذا حرام بالإجماع وقد رأيت فتوى شيخ الإسلام جمال الملة أن مستحل هذا كافر ولما علم أن حرمته بالإجماع لزم أن يكفر مستحله فقد رأيت كلام القرطبي وكلام الشيخ الذي نقل عنه في كفر من استحل السماع والرقص مع كونه دون ما نحن فيه بالإجماع بكثير .

---

(١) ذكر ذلك في فصل عقده لبيان أعظم المكائد التي كاد بهـا الشيطان أكثر الناس .

(٢) لفظ (الباب) من نسخة سماحة المفتي التي هي بخط سالم بن علي .

وقال أبو العباس رحمه الله : (حدثني ابن الخضيري[1] عن والده الشيخ الخضيري إمام الحنفية في زمانه قال : كان فقهاء بخاري يقولون في ابن سينا كان كافراً ذكياً) فهذا إمام الحنفية في زمنه حكى عن فقهاء بخاري جملة كفر ابن سينا وهو رجل معين مصنف يتظاهر بالإسلام وأما كلام المالكية في هذا فهو أكثر من أن يحصر وقد اشتهر عن فقهائهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التي لا يفطن لها أكثر الناس وقد ذكر القاضي عياض في آخر كتاب الشفاء من ذلك طرفاً ومما ذكر[2] أن من حلف بغير الله على وجه التعظيم كفر وكل هذا دون ما نحن فيه بما لا نسبة بينه وبينه وأما كلام الشافعية فقال صاحب الروضة رحمه الله : إن المسلم إذا ذبح للنبي صلى الله عليه وسلم كفر وقال أيضاً من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر وكل[3] هذا دون ما نحن فيه وقال ابن حجر في شرح الأربعين على حديث ابن عباس : (إذا سألت فاسأل الله) ما معناه أن من دعا غير الله فهو كافر ، وصنف في هذا النوع كتاباً مستقلا سماه الإعلام بقواطع الإسلام ذكر فيه أنواعاً كثيرة من الأقوال والأفعال كل واحد منها ذكر أنه يخرج من الإسلام ويكفر به المعين وغالبه لا يساوى

---

(١) هذا هو الموافق لما في نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية الذي أخذ منه الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذه العبارة ووقع في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام (حدثني الخضيري) بدون ذكر ابن ويغلب على الظن أن سقوطه من النساخ .

(٢) هكذا في نسخة سماحة المفتي التي هي بخط عبد العزيز بن ناصر ووقع في نسخته الأخرى التي هي بخط سالم بن علي وفي نسخة – الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وروضة الأفكار والأفهام لابن غنام (ذكروا) .

(٣) لفظ (وكل) هو الذي ورد في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي أكثر النسخ الخطية ووقع في بعض النسخ (وكان) .

عشير معشار ما نحن فيه . وتمام الكلام في هذا أن يقال الكلام هنا في مسألتين :

الأولى : أن يقال هذا الذي يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين ومع كثير من الأحياء والأموات والجن من التوجه إليهم ودعائهم لكشف الضر والنذر لهم لأجل ذلك هل هو الشرك الأكبر الذي فعله قوم نوح ومن بعدهم إلى أن انتهى الأمر إلى قوم خاتم الرسل قريش وغيرهم فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ينكر عليهم ذلك ويكفرهم ويأمر بقتالهم حتى يكون الدين كله لله ، أم هذا شرك أصغر وشرك المتقدمين نوع(١) غير هذا فاعلم أن الكلام في هذه المسألة سهل على من يسره الله عليه بسبب أن علماء المشركين اليوم يقرون أنه الشرك الأكبر ولا ينكرونه إلا ما كان من مسيلمة الكذاب وأصحابه كابن اسماعيل وابن خالد مع تناقضهم في ذلك واضطرابهم فأكثر أحوالهم يقرون أنه الشرك الأكبر ولكن يعتذرون بأن أهله لم تبلغهم الدعوة وتارة يقولون لا يكفر إلا من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وتارة يقولون إنه شرك أصغر وينسبونه لابن القيم رحمه الله في المدارج كما تقدم وتارة لا يذكرون شيئاً من ذلك بل يعظمون أهله وطريقتهم في الجملة وأنهم خير أمّة أخرجت للناس وأنهم العلماء الذين يجب رد الأمر عند التنازع إليهم وغير ذلك من الأقاويل المضطربة وجواب هؤلاء كثير في الكتاب والسنة والإجماع ومن أصرح ما يجاوبون به إقرارهم في غالب الأوقات أن هذا هو الشرك الأكبر وأيضاً إقرار غيرهم من علماء الأقطار مع أن أكثرهم قد دخل في الشرك وجاهد أهل التوحيد لكن لم يجدوا بداً من الإقرار به لوضوحه .

---

(١) سقط لفظ (نوع) في بعض النسخ المطبوعة وأثبت في جميع النسخ الخطية وفي روضة الأفكار والأفهام لابن غنام .

المسألة الثانية الإقرار بأن هـــذا هو الشرك الأكبر ولكن لا يكفر به إلا من أنكر الإسلام جملة وكذب الرسول والقرآن واتبع يهودية أو نصرانية أو غيرهما وهذا هو الذي يجادل به أهل الشرك والعناد في هذه الأوقات وإلا المسألة الأولى قل الجدال فيها ولله الحمد لما وقع من اقرار علماء الشرك(١) بها فاعلم أن تصور هذه المسألة تصوراً حسناً يكفي في إبطالها من غير دليل خاص لوجهين .

الأول أن مقتضى قولهم أن الشرك بالله وعبادة الأصنام لا تأثير لها في التكفير لأن الإنسان إن انتقل عن الملّة إلى غيرها وكذب الرسول والقرآن فهو كافر وإن لم يعبد الأوثان كاليهود فإذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذا أشرك الشرك الأكبر لأنه مسلم يقول لا إله إلا الله ويصلي ويفعل كذا وكذا لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير بل يكون ذلك كالسواد في الخلقة أو العمى أو العرج فإن كان صاحبها يدعي الإسلام فهو مسلم وإن ادعى ملّةً غيرها فهو كافر وهذه فضيحة عظيمة كافية في رد هذا القول الفظيع .

(الوجه الثاني) أن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم في الشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم كفر صريح بالفطر والعقول والعـــلوم الضرورية فلا يتصور أنك تقول لرجل ولو من أجهل الناس وأبلدهم ما تقول فيمن عصى الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينقد له في ترك عبادة الأوثان والشرك مع أنه يدعي أنه مسلم متبع إلا ويبادر بالفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر من غير نظر في الأدلة أو سؤال أحد من العلماء ولكن لغلبة الجهل

---

(١) كذا في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام والنسخ الخطية . ووقع في بعض النسخ المطبوعة (علماء المشركين) .

وغربة(١) العلم وكثرة من يتكلم بهذه المسألة من الملحدين اشتبه الأمر فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يحبون الحق فلا تحقرها وأمعن النظر في الأدلة التفصيلية لعل الله أن يمن عليك بالإيمان الثابت ويجعلك أيضاً من الأئمة الذين يهدون بأمره فمن أحسن ما يزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمن يقيناً ما جرى من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى الإسلام كما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث البراء ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله ومثل همه بغزو بني المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة(٢) ومثل قتال الصديق وأصحابه لما نعى الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا لما فهموا من قوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا » حل الخمر لبعض الخواص ومثل اجماع الصحابة في زمن عثمان رضي الله عنه على تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيلمة مع أنهم لم يتبعوه وإنما اختلف الصحابة في قبول توبتهم(٣) ومثل تحريق عليّ رضي الله عنه أصحابه لما غلوا فيه ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عبيدومن اتبعه مع أنه يدعي أنه يطلب بدم الحسين

---

(١) لفظ (غربة) هو الذي ورد في نسخة سماحة المفتي بقلم عبد العزيز بن ناصر وفي مخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين . وورد في بقية النسخ لفظ (غرابة) .

(٢) حتى كذب الله من نقل ذلك صرح المؤلف بذلك في رسالته إلى أحمد بن عبد الكريم وهي في الجزء الأول من روضة الأفكار والأفهام لابن غنام .

(٣) قال الشيخ في رسالته إلى أحمد بن عبد الكريم (والمسألة يعني هذه القضية في صحيح البخاري وشرحه في الكفالة) .

وأهل البيت ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم وهو مشهور بالعلم والدين وهـــلم جرًّا من وقائع لا تعد ولا تحصى ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره كيف تقاتل بني حنيفة وهم يقولون لا إله إلاّ الله ويصلون ويزكون وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا وهلم جرا إلى زمن بني عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالإسلام وصلاة الجمعة والجماعة ونصب القضاة والمفتين لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا لم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم ولم يتوقفوا فيه وهم في زمن ابن الجوزي والموفق(١) . وصنف ابن الجـــوزي كتاباً لما أخذت مصر منهـــم سماه النصر على مصر . ولم يسمع أحـــد(٢) من الأولين والآخرين أن أحداً أنكر شيئاً من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملّة أو لأجل قول لا إله إلاّ الله أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام إلاّ ما سمعناه من هؤلاء الملاعين في هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو الشرك ولكن من فعله أو حسنه أو كان معأهله أو ذم التوحيد أوحارب أهله لأجله أو أبغضهم لأجله أنه لايكفر لأنه يقول لا إله إلاّ الله أو لأنه يؤدي أركان الإسلام الخمسة ويستدلون بأن النبي صلى الله عليه وسلم سماها الإسلام هذا لم يسمع قط إلاّ من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين فإن ظفروا بحرف واحد عن أهل العلم أو أحد

---

(١) سقط لفظ (والموافق) في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام ولم تختلف النسخ الخطية في ثبوته .

(٢) في نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ومخطوطة الشيخ عبد الرحمن ابن عبد العزيز الحصين (من أحد)

منهم يستدلون به على قولهم الفاحش الأحمق فليذكروه ولكن الأمر كما قال اليمني(١) في قصيدته :

أقاويـــل لا تعـــزى إلى عـــالم فـــلا
تســـاوى فلساً إن رجعت إلى النقـــد

ولنختم الكلام في هذا النوع بما ذكره البخاري في صحيحه حيث قال

* * *

(١) المراد به الأمير محمد بن اسماعيل الصنعاني صاحب سبل السلام جاء هذا البيت في قصيدة في غاية الجمال أنشدها في مدح شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مؤلف هذا الكتاب « مفيد المستفيد » جزاه الله على ذلك خير الجزاء والقصيدة في ج ١ من « روضة الأفكار والأفهام » لابن غنام ص ٤٦ – ٤٩ الطبعة الأولى .

باب يتغير الزمان حتى تعبد الأوثان

ثم ذكر بإسناد قوله : صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليات نســـاء دوس حول ذي الخلصة وذو الخلصة صنم لدوس يعبدونه) فقال صلى الله عليه وسلم(١) لجرير بن عبد الله ألا تريحني من ذي الخلصة فركب إليه بمن معه فأحرقه وهدمه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره قال فبرّك على خيل أحمس ورجالها خمساً وعادة البخاري رحمه الله إذا لم يكن الحديث على شرطه ذكره في الترجمة ثم أتى بما يدل على معناه مما هو على شرطه ولفظ الترجمة وهو قوله : « يتغير الزمان حتى تعبـــد الأوثان » ، لفظ حديث أخرجه غيره من الأئمة والله سبحانه وتعالى أعلم . ولنذكر من كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام أئمة العلم جملا في جهاد القلب واللسان ومعاداة أعداء الله وموالاة أوليائه وأن الدين لا يصح ولا يدخل الإنسان فيه إلاّ بذلك فنقول :

* * *

(١) قوله : (فقال صلى الله عليه وسلم . . . إلى آخره) مضمون حديث آخر رواه البخاري في (غزوة ذي الخلصة) قال : حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى حدثنا اسماعيل حدثنا قيس قال : قال لي جرير رضي الله عنه : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم (ألا تريحني من ذي الخلصة) وكان بيتاً لخثعم يسمى الكعبة اليمانية فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فضرب في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً فانطلق إليها فكسرها وحرقها ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول جرير والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجرب قال فبارك في خيل أحمس ورجالها خمس مرات .

باب في[1] وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين

وقول الله تعالى : « وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم » وقوله تعالى : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء » إلى قوله : « كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » وقوله تعالى : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

وقال الإمام الحافظ محمد بن وضاح أخبرني غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات : اعلم يا أخي أن ما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك[2] من صالح ماأعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة وعيبك لأهل البدع وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم فقمعهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم

---

(١) لفظ (في) في نسخة سماحة المفتي بخط سالم بن علي وليس في بقية النسخ .

(٢) ورد في بعض النسخ (إلا ما ذكر لي أهل بلدك) وفي روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وبقية النسخ الخطية (ما ذكر أهل بلادك) بدون (إلا) وهو الموافق لما في كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح طبعة دار الأصفهاني .

فأذهم الله بيدك[1] وصاروا ببدعتهم مستترين فابشر يا أخي بثواب ذلك واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله تعالى وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا شيئاً من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وضم بين أصبعيه وقال : أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من اتبعه إلى يوم القيامة فمتى يدرك أجر هذا بشيء من عمله[2] وذكر أيضاً أن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً لله[3] يذب عنها وينطق بعلاماتها فاغتنم يا أخي هذا الفضل وكن من أهله فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من كذا وكذا [4] وأعظم القول فيه فاغتنم

---

(١) كذا في نسخة سماحة المفتي التي هي بخط سالم بن علي وفي نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وفي نسخة سماحة المفتي الثانية التي هي بخط عبد العزيز بن ناصر (على يديك) وفي روضة الأفكار والأفهام لابن غنام (بك) – وفي كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح (بذلك) .

(٢) كذا في كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح (فمن يدرك أجر هذا بشيء من عمله) وهو أقرب إلى الصحة مما في نسخ الكتاب الخطية والمطبوعة .

(٣) سقط لفظ (لله) في بعض النسخ وأثبت في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام ونسخة سماحة المفتي بخط سالم بن على ونسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ومخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين . وهو الموافق لما في كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح .

(٤) ورد في بعض النسخ (من حمر النعم) وورد في بعضها (من كذا وكذا من حمر النعم) ووقع في نسخة سماحة المفتي التي هي بخط عبد العزيز بن ناصر وروضة الأفكار والأفهام لابن غنام ومخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين (من كذا وكذا) وهو الموافق لما في كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح كما أنه المناسب لقول معاذ (وأعظم القول فيه) .

ذلك وادع إلى السنة حتى يكون لك في ذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث فيكونون أئمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء في الأثر فاعمل على بصيرة ونية وحسبة فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر فتكون خلفاً من نبيك صلى الله عليه وسلم فإنك لن تلقى الله بعمل يشبهه وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب فإنه جاء في الأثر من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام وجاء : ما من إله يعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل البدع وأن الله لا يقبل منهم صرفاً ولاعدلا ولا فريضة ولاتطوعاً وكلما ازدادوا اجتهاداًو صوماً وصلاة ازدادوا من الله بعـــداً فارفض مجالسهم وأذلهم وابعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى بعده (انتهى كلام أسد رحمه الله تعالى(١) .

واعلم رحمك الله أن كلامه وما يأتي من كلام أمثاله من السلف في معاداة أهل البدع والضلالة في(٢) ضلالة لا تخرج عن الملّة لكنهم شددوا في ذلك وحذروا منه لأمرين :

الأول : غلظ البدعة في الدين في نفسها فهي عندهم أجل من الكبائر

---

(١) كذا في جميع النسخ الخطية ووقع في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام الاقتصار على لفظ (انتهى) . وعلى ذلك يحتمل أن يكون الضمير عائداً على ابن وضاح .

(٢) لفظ (في) من نسخة سماحة المفتي التي هي بخط عبد العزيز بن ناصر .

ويعاملون أهلها بأغلظ مما يعاملون به أهل الكبائر كما تجد في قلوب الناس(١) أن الرافضي عندهم ولو كان عالماً عابداً أبغض وأشد ذنباً من السني المجاهر بالكبائر .

الثاني : أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع فمثال البدعة التي شددوا فيها مثل تشديد النبي صلى الله عليه وسلم فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح خوفاً مما وقع من الشرك الصريح الذي يصير به المسلم مرتداً فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام في الردة ومجاهدة أهلها أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله وهذا هو الذي نزلت فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » الآية وقوله تعالى: « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » الآية .

وقال ابن وضاح (في كتاب البدع والحوادث) بعد حديث ذكره : أنه سيقع في هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة قال رحمه الله « إن فتنة الكفر هي الردة يحل فيها السبي والأموال وفتنة الضلالة لا يحل فيها السبي والأموال وهذا الذي نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السبي ولا الأموال)(٢) وقال

---

(١) وقع في أكثر النسخ لفظ (اليوم) إثر قوله (في قلوب الناس) وسقط في نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف وسقوطه أبلغ .

(٢) هكذا ورد قول ابن وضاح في نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف ومخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين وهو الموافق لما في كتاب ابن وضاح ووقع في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وبقية ما عندنا من النسخ الخطية خلل في العبارة . يتبين من مراجعة النسخ المذكورة .

رحمه الله أيضاً أخبرنا أسد أخبرنا رجل عن ابن المبارك(١) قال : قال ابن مسعود إن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً من أوليائه يذب عنه وينطق بعلامتها فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله قال ابن المبارك(٢) وكفى بالله وكيلا ثم ذكر باسناده عن بعض السلف(٣) قال : « لأن أرد رجلا عن رأي سيىء أحب إلى من اعتكاف شهر » أخبرنا أسد عن أبي اسحاق الحذاء عن الأوزاعي قال كان بعض أهل العلم يقولون : (لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة ولا صدقة ولا صياماً ولا جهاداً ولا حجاً ولا صرفاً ولا عدلا وكانت أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم وتشمئز منه قلوبهم ويحذرون الناس بدعتهم قال ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ما كان لأحد أن يهتك عنهم ستراً ولا يظهر منهم عورة الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبة عليها ، فأما إذا جاهروا به(٤) فنشر العلم حياة والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة يعتصم بها على مصر ملحد) ثم روى بإسناده قال : (جاء رجل إلى حذيفة وأبو موسى الأشعري قاعد فقال أرأيت رجلا ضرب بسيفه غضباً لله حتى قتل أفي الجنة أم في النار ؟ فقال أبو موسى في الجنة فقال حذيفة : استفهم

---

(١) في كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح زيادة (ويوسف بن أسباط) بعد ابن المبارك .

(٢) سقط لفظ (قال ابن المبارك) في بعض النسخ الخطية والمطبوعة وأثبت في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام ونسخة سماحة المفتي بخط عبد العزيز بن ناصر ونسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ومخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين وهو الموافق لما في كتاب ابن وضاح .

(٣) وهو عبد الكريم بن أبي أمية .

(٤) في البدع والنهي عنها لابن وضاح (جهروا) وكذلك في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ووقع في نسختي سماحة المفتي (جاهروا) .

الرجل وأفهمه ما تقول(١) حتى فعل ذلك ثلاث مرات فلما كان في الثالثة قال والله لا أستفهمه فدعا به حذيفة فقال : رويدك وما يدريك أن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتـــل عليه فهو في الجنة وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله للحق فهو في النار ثم قال والذي نفسي بيده ليدخلن النار في مثل الذي سألت عنه أكثر من كذا وكذا) ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال : (لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك) ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثوري قال : (من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث إما أن يكون فتنة لغيره وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار وإما أن يقول والله ما أبالي ما تكلموه وإني واثق بنفسي فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه) ثم ذكر بإسناده عن بعض(٢) السلف قال : (من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام) أخبرنا أسد قال : حدثنا كثير أبو سعيد قال : من جلس إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه)(٣) أخبرنا أسد بن موسى قال أخبرنا حماد بن زيد عن

---

(١) عند ابن وضاح في كتابه البدع والنهي عنها إثر قوله (وأفهمه ما تقول) زيادة نصها (قال أبو موسى سبحان الله كيف قلت قال : قلت رجل ضرب بسيفه غضباً لله حتى قتل ، أفي الجنة أم في النار فقال أبو موسى في الجنة قال حذيفة استفهم الرجل وأفهمه ما تقول) ولا ذكر لهذه الزيادة في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام ولا في النسخ الخطية التي عندنا - والظاهر هنا أنها ليست في نسخة المؤلف من كتاب ابن وضاح ويغني عنها قوله : (حتى فعل ذلك ثلاث مرات .

(٢) كذا في جميع ما لدينا من نسخ الكتاب وفي نسختنا من كتاب ابن وضاح ما نصه (نا أسد عن أيوب النجار اليمامي قال ناشر بن حنيفة الحنفي يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما يظن قال : (من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام) وجدت هذا الحديث عند من سمعه من أيوب مثبتاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه (فيما يظن) .

(٣) سقط قول كثير أبي سعيد هذا في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي أكثر النسخ الخطية ووجد في بعض النسخ المطبوعة وفي مخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين وهو موجود بسنده ومتنه في كتاب ابن وضاح (ص ٤٨)

أيوب قال : قال أبو قلابة : (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم(١) تعرفون . قال أيوب : وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب) : أخبرنا أسد بن موسى قال : أخبرنا زيد(٢) عن محمد بن طلحة قال : قال ابراهيم : لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإني أخاف أن ترتد قلوبكم) . أخبرنا أسد بالإسناد(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) . أخبرنا أسد : أخبرنا مؤمل بن اسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : (دخل علي محمد ابن سيرين يوماً رجل فقال : يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج فوضع أصبعيه في أذنيه ثم قال أحرج عليك إن كنت مسلماً لما خرجت من بيتي قال : فقال يا أبا بكر إني(٤) لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج ، قال : فقام بإزاره يشده عليه وتهيأ للقيام فأقبلنا على الرجل فقلنا قد حرج عليك الا خرجت أفيحل لك أن تخرج رجلا من بيته ؟ قال : فخرج فقلنا يا أبا بكر ماعليك لو قرأ آية ، ثم خرج قال : إني والله لو ظننت .

---

(١) لفظ (كنتم) من كتاب ابن وضاح .

(٢) سقط لفظ (أخبرنا زيد) من روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وثبت في جميع النسخ الخطية وإثباته هو الموافق لما في كتاب ابن وضاح .

(٣) لفظ ابن وضاح (نا أسد قال : نا إبراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم عن سعيد ابن يسار عن أبي هريرة) فلفظ (بالإسناد) ما دام الأمر كذلك اختصار من المؤلف للإسناد ولهذا الاستعمال نظائر ستأتي في مواضعها وسأ ذكر في كل موضع منها لفظ ابن وضاح لبيان مراد الإمام المؤلف .

(٤) سقط لفظ (إني) في بعض النسخ وذكر في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي أكثر النسخ الخطية وهو الموافق لما عند ابن وضاح .

أن قلبي يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ ولكنني خفت أن يلقي في قلبي شيئاً أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع) أخبرنا أسد قال أخبرنا ضمرة[1] عن سودة قال سمعت عبد الله بن القاسم . وهو يقول (ما كان عبد على هوى فتركه إلاّ آل إلى ماهو شر منه) قال فذكرت هذا الحديث[2] لبعض أصحابنا فقال تصديقه في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه) أخبرنا أسد قال أخبرنا موسى بن اسماعيل عن حماد بن زيد عن زيد عن أيوب قال : (كان رجل يرى رأياً فرجع عنه فأتيت محمداً فرحاً بذلك أخبره فقلت : أشعرت أن فلاناً ترك رأيه الذي كان يرى فقال انظروا إلى ما يتحول . إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله يمرقون من الإسلام لا يعودون[3] إليه (ثم روى بإسناده عن حذيفة (أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال : إن هذا[4] الدين قد استضاء استضاءة[5] هذه الحصاة

---

(١) كذا في نسختي سماحة المفتي ونسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وهو الموافق لما في كتاب ابن وضاح ووقع في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي بعض النسخ الخطية (حمزة) بدل (ضمرة) .

(٢) لفظ (الحديث) من كتاب ابن وضاح .

(٣) في أكثر النسخ (ثم لا يعودون إليه) بزيادة (ثم) وفي كتاب ابن وضاح (لا يعودون فيه) بدون (ثم) وبلفظ (فيه) بدل (إليه) .

(٤) سقط لفظ (هذا) في روضة الأفكار والأفهلم لابن غنام وأثبت في جميع النسخ الخطية وهو الموافق لنص كتاب ابن وضاح .

(٥) كذا في نسخة سماحة المفتي بخط سالم بن على وجاء في نسخته الأخرى التي هي بخط عبد العزيز بن ناصر (إضاءة هذه الحصاة) ووقع في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام (استضاءة هذه) بدون ذكر (الحصاة) ولفظ نسخة كتاب ابن وضاح التي عندنا (إضاءة هذه) بدون ذكر (الحصاة) وهو الموجود في نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ .

ثم أخذ كفاً من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال : والذي نفسي بيده ليجيئن أقوام يدفنون الدين(١) كما دفنت هذه الحصاة)(٢) أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده(٣) عن أبي الدرداء قال (لو خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم إليكم ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة) قال الأوزاعي : فكيف لو كان اليوم قال عيسى : يعني الراوي عن الأوزاعي (فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان ؟) أخبرنا محمد بن سليمان بإسناده(٤) عن علي أنه قال تعلموا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله فإنه سيأتي بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم)(٥) أخبرنا يحي بن يحي بإسناده(٦) عن أبي سهل بن مالك عن أبيه أنه قال : (ما أعرف منكم شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة) حدثني إبراهيم بن محمد

---

(١) في جميع النسخ الخطية وفي روضة الأفكار والأفهام لابن غنام (هذا الدين) بزيادة لفظ (هذا) والمثبت هنا هو الموافق لما في نسختنا من كتاب ابن وضاح ولما في بعض النسخ المطبوعة

(٢) لأثر حذيفة هذا بقية عند ابن وضاح نصها : (ليسلكن طريق الذين كانوا قبلكم حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل) .

(٣) وهو (نا نعيم بن حماد قال نا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن حبان بن أبي جبلة عن أبي الدرداء) .

(٤) وهو (نا محمد بن سليمان الانباري قال نا وكيع عن عمر بن منبه عن أوفي بن دلهم العدوي قال بلغني عن علي)

(٥) لأثر علي هـذا عند ابن وضاح بقية نصها (لا ينجو فيه إلا كل مؤمن نؤمه قال وكيع – يعني الراوي – يعني مغفلا . أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعجل المذاييع البذرة قال : قيل لعلي بن أبي طالب ما النومة قال الرجل يسكت بالفتنة فلا يبدو منه شيء .

(٦) وهو (عن مالك بن أنس عن عمه أبي سهيل بن مالك) .

بإسناده(١) عن أنس قال : (ما أعرف منكم شيئاً كنت أعهده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس قولكم لا إله إلا الله)(٢) أخبرنا محمد ابن سعيد قال نا (٣) أسد بإسناده(٤) عن الحسن قال : (لو أن رجلا أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً قال : ووضع يده على خده ثم قال إلا هذه الصلاة ثم قال : اما والله لمن عاش في هذه النكرا ولم يدرك هذا السلف الصالح فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله عن ذلك وجعل قلبه يحن إلى ذكر هذا السلف الصالح يسأل عن سبيلهم(٥) ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض أجراً عظيماً فكذلك فكونوا (٦) إن شاء الله تعالى) حدثني عبد الله بن محمد بإسناده عن ميمون بن مهران(٧) قال : (لو أن رجلا نشر فيكم من السلف

---

(١) وهو (عن حرملة بن يحي عن نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس) .

(٢) تمامه عند ابن وضاح (قلنا بلى يا أبا حمزة الصلاة فقال قد صليتم حين تغرب الشمس ، أفكانت تلك صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(٣) لفظ (محمد بن سعيد قال نا) من كتاب ابن وضاح وقد سقط في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي جميع النسخ الخطية .

(٤) وهو (نا سفيان بن عيينة عن المبارك بن فضالة عن الحسن) .

(٥) لفظ (يسأل عن سبيلهم) لم يرد في بعض النسخ الخطية وقد ورد في نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وروضة الأفكار والأفهام لابن غنام وهو الموافق لما في كتاب ابن وضاح .

(٦) سقطت الفاء في لفظ (فكونوا) في بعض النسخ وأثبتت في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وهو الموافق لما في كتاب ابن وضاح .

(٧) وهو (عن علي بن معبد عن العلاء بن سليمان عن ميمون بن مهران) .

ما عرف فيكم غير هذه القبلة) أخبرنا محمد بن قدامة الهاشمي(١) بإسناده (٢) عن أم الدرداء قالت : (دخل عليَّ أبو الدرداء مغضباً فقلت له : ما أغضبك ؟ فقال : والله ما أعرف فيهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً) وفي لفظ(٣) (لو أن رجلا تعلم الإسلام وأهمه ثم تفقده ما عرف منه شيئاً) حدثني إبراهيم بإسناده (٤) عن عبد الله بن عمرو قال : (لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفيهما في بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه) قال مالك : وبلغني أن أباهريرة رضي الله عنه تلا : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً » فقال (والذي نفسي بيـــده إن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً)(٥) .

قف تأمل رحمك الله إذا كان هذا في زمن التابعين بحضرة أواخر الصحابة فكيف يغتر المسلم بالكثرة أو تشكل عليه أو يستدل بها على الباطل (ثم روى ابن وضاح بإسناده) عن أبي أمية قال أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال أية آية ؟ قلت قول الله تعـــالى : « لا يضركم

---

(١) لفظ (الهاشمي) من كتاب ابن وضاح .

(٢) وهو (نا جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن سالم عن أم الدرداء) .

(٣) أي بنفس سند الأثر الذي قبله .

(٤) وهو (عن اسماعيل بن نافع القرشي عن ابن المبارك قال : قال عبد الله بن عمرو ابن العاص) .

(٥) ذكر ابن وضاح قول مالك هذا إثر روايته لحديث الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنكم سترون ما تعرفون وما تنكرون فمن أنكر بريء ومن كره فقـــد سلم ولكن من رضى وتابع قالوا يا رسول الله ألا نقتل فجارهم قال لا ما صلوا) (ص ٦٨) في كتاب ابن وضاح .

من ضل إذا اهتديتم » قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قيل : يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم) ثم روى باسناده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (طوبى للغرباء ثلاثاً قالوا يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال ناس صالحون قليل في أناس سوء كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم(١) ، أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده(٢) عن المعافري(٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طوبى للغرباء الذين يتمسكون بكتاب الله حين ينكر(٤) ويعملون بالسنة حين تطفى أخبرنا محمد بن يحيى(٥) أخبرنا أسد بإسناده(٦) عن سالم بن عبدالله عن أبيه

---

(١) تمامه عند ابن وضاح (ثم طلعت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي أناس يوم القيامة وجوههم مثل ضوء الشمس فسأل أبو بكر نحن هم يا رسول الله ؟ قال : لا ولكم خير كثير . ولكنهم أناس من أمتي يتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره يحشرون من أقطار الأرض) .

(٢) وهو (نا نعيم بن حماد قال نا ابن وهب عن عقبة بن نافع عن بكر بن عمرو المعافري .

(٣) وقع في بعض النسخ الخطية (عن ابن عمر بدل (عن المعافري) وهو خطأ والصواب ما في بقية النسخ الخطية وروضة الأفكار والأفهام لابن غنام وهو (عن المعافري) وهو الموافق لما عند ابن وضاح) .

(٤) كذا ورد في بعض النسخ الخطية وفي روضة الأفكار والأفهام لابن غنام (يترك) وهو الموافق لما في كتاب ابن وضاح ولما في بقية النسخ الخطية .

(٥) لفظ (أخبرنا محمد بن يحي) من كتاب ابن وضاح .

(٦) وهو (نا يحي بن المتوكل عن أمه أم يحي قالت سمعت سالم بن عبد الله) .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (بدأ الإسلام غريباً ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً كما بدأ (١) فطوبى للغرباء حين يفسد الناس ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس) نا محمد بن يحي(٢) نا أسد بإسناده (٣) عن عبد الرحمن(٤) أنه سمع رسول الله يقول : (إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد(٥) الناس) هذا آخر مانقلته من كتاب البدع والحوادث للإمام الحافظ محمد بن وضاح رحمه الله فتأمل رحمك الله أحاديث الغربة وبعضها في الصحيح مع كثرتها وشهرتها وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وقع من زمن طويل حتى قال ابن القيم رحمه الله (الإسلام في زماننا أغرب منه في أول ظهوره) فتأمل هذا تأملاً جيداً لعلك أن تسلم من هذه الهوة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس وهي الاقتداء بالكثرة والسواد الأكبر والنفرة من الأقل فما أقل من سلم منها ما أقله ما أقله ! ! ولنختم ذلك(٦)

---

(١) سقط لفظ (كما بدأ) في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وثبت في نسختي سماحة المفتي وثبوته هو الموافق لما في كتاب ابن وضاح .

(٢) عبارة (نا محمد بن يحي) من كتاب ابن وضاح .

(٣) وهو (نا إسماعيل بن عياش عن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن يوسف ابن سليم عن جدته ميمونة عن عبد الرحمن بن سنة) .

(٤) هذا هو الصواب وهو الموجود في كتاب ابن وضاح وعبد الرحمن هذا هو ابن سنة بفتح المهملة وتشديد النون وحكى ابن السكن فيه المعجمة والموحدة ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة في تمييز الصحابة) وقال في عبد الرحمن هذا (ذكره ابن حبان في الصحابة فقال له رؤية) .

(٥) كذا في بعض النسخ ووقع في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي أكثر النسخ الخطية بلفظ (عند فساد الناس) وهو الموافق لما في كتاب ابن وضاح .

(٦) في نسخة سماحة المفتي بخط عبد العزيز بن ناصر (ولنختم الكلام) .

بالحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مامن نبي بعثه الله في أمة قبلي إلاّ كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، وفي رواية يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل . انتهى ما نقلته والحمـــد لله رب العالمين .

وقد رأيت(١) للشيخ تقي الدين رسالة كتبها وهو في السجن إلى بعض إخوانه لمّا أرسلوا إليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص من السجن ، أحببت أن أنقل أولها لعظم منفعته قال رحمه الله تعالى : الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شـــهيداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .

أما بعد فقد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الناسكين القدوتين أيدهما الله وسائر الإخوان بروح منه وكتب في قلوبهم الإيمان وأدخلهم

---

(١) عبارة (وقد رأيت للشيخ – إلى آخر الكتاب في جميع ما لدينا من النسخ ما سوى نسخة سماحة المفتي التي هي بخط عبد العزيز بن ناصر ، فقد جاء فيها إثر حديث عبد الله بن مسعود المذكور هنا ما نصه (انتهى نقله بقلم الفقير إلى ربه الراجي لعفو ربه وكرمه عبد العزيز بن ناصر بن راشد بن تريكي) .

مدخل صدق وأخرجهم مخرج صدق وجعل لهم من لدنه ما ينصر(١) به من السلطان سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان وسلطان القدرة والنصرة بالسنان والأعوان وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه الغالبين لمن ناوأهم من الأقران ومن الأئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والإيقان والله محقق ذلك ومنجز وعده في السر والإعلان ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن لكن بما اقتضته حكمته ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذي يميز الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان إذ قد دل كتابه على أنه لابد من الفتنة لكل من ادعى الإيمان والعقوبة لذوي السيئات والطغيان فقال تعالى : « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون » فأنكر سبحانه على من ظن أن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب وأن مدعي الإيمان يتركون بلا فتنة تميز بين الصادق والكاذب وأخبر في كتابه أن الصدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله فقال تعالى « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وأخبر سبحانه وتعالى بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة الذي يعبد الله فيها على

---

(١) لفظ (ينصر) هو الموجود في نسخة سماحة المفتي التي هي بخط سالم بن علي ونسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ومخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين ووقع في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وبعض النسخ الخطية بلفظ (يتم) .

حرف وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه بل لا يثبت على الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا فقال تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » وقال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » وقال تعالى : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » وهؤلاء هم الشاكرون لنعمة الإيمان الصابرون على الامتحان كما قال تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » إلى قوله « والله يحب المحسنين » فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر كان جميع مايقضى له من القضاء خيراً له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يقضي الله للمؤمن[1]) من قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له والصبّار الشكور هو المؤمن الذي ذكر الله في غير موضع من كتابه ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال وكل واحد من السراء والضراء في حقه يفضي به إلى قبيح المآل فكيف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين ؟

---

(١) كذا في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وفي نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ . ووقع في بعض النسخ (لا يقضى للمؤمن من قضاء) وفي بعضها (لا يقضى للمؤمن قضاء) بسقوط (من) .

وفيها تثبيت أصول الدين وحفظ الإيمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله والله المسئول أن يثبتكم وسائر المؤمنين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويتم نعمه عليكم الظاهرة والباطنة وينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين الذين أمرنا بجهادهم والإغلاظ عليهم في كتابه المبين ، انتهى ما نقلته من كلام أبي العباس رحمه الله في الرسالة المذكورة وهي طويلة (١) ومن جواب له رحمه الله لما سئل عن الحشيشة ما يجب على من يدعى أن أكلها جائز فقال أكل هذه الحشيشة حرام وهي من أخبث الخبائث المحرمة سواء أكل منها كثيراً أو قليلا لكن الكثير المسكر منها حرام باتفاق المسلمين ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً لا يغسل ولا يُصلى عليه ولا يُدفن بين المسلمين وحكم المرتد أشرّ من حكم اليهودي والنصراني(٢) وسواء اعتقد أن ذلك يحل للعامة أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر وأنها تحرك العزم الساكن وتنفع في الطريق وقد كان بعض السلف ظن أن الخمر يباح للخاصة متأولا قوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح » فاتفق عمر وعليّ وغيرهما من علماء الصحابة على أنهم إن أُقروا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على الاستحلال قتلوا انتهى مانقلته من كلام الشيخ رحمه الله تعالى :

---

(١) عبارة (في الرسالة المذكورة وهي طويلة) من مخطوطة الشيخ عبد الرحمن ابن عبد العزيز الحصين .

(٢) لفظ (اليهودي والنصراني) من الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ٤ ص ٢٦٤ طبعة بغداد .

فتأمل كلام هذا الذي ينسب إليه عدم تكفير المعين إذا جاهر بسب دين الأنبياء وصار مع أهل الشرك ويزعم أنهم على الحق ويأمر بالمصير معهم وينكر على من لا يسب التوحيد ويدخل مع المشركين لأجل انتسابه إلى الإسلام انظر كيف كفر المعين ولو كان عابداً باستحلال الحشيشة ولو زعم حلها للخاصة الذين تعينهم على الفكرة واستدل بإجماع الصحابة على تكفير قدامة وأصحابه إن لم يتوبوا وكلامه في المعين وكلام الصحابة في المعين فكيف بما نحن فيه مما لا يساوى استحلال الحشيشة جزء من ألف جزء منه والله أعلم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمـــد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

كشف الشبهات

والرسالة المفيدة

نشر وتوزيع
رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
بالمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده. فأولهم نوح[1] عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً، وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله[2]، ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لغير الله لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى: «قل من يرزقكم من السماء والأرض؟ أمن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت

---

(١) أي أول الرسل الذين بعثهم الله لدعاء قومهم إلى توحيد الله ونهيهم عن الإشراك به، وأما أول الأنبياء مطلقاً فهو آدم عليه السلام.

(٢) أجمع العلماء على أن من جعل بينه وبين الله واسطة يدعوه زاعماً أنه يقربه إلى الله ــ أنه كافر خارج عن ملة الإسلام كما ذكره في كشاف القناع على متن الإقناع في باب حكم المرتد، وهذا هو الذي عليه عباد القبور في هذه الأزمان سواء بسواء.

من الحي؟ ومن يدبر الأمر، فسيقولون: الله! فقل: أفلا تتقون؟» وقوله: «قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون؟ سيقولون لله، قل: أفلا تذكرون؟، قل: من رب السموٰات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون لله، قل أفلا تتقون؟، قل: من بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه؟ إن كنتم تعلمون، سيقولون: لله! قل: فأني تسحرون» وغير ذلك من الآيات.

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا[1] ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلًا ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات: أو نبيا مثل عيسى وعرفت أن رسول الله ﷺ، قاتلهم على هذا الشرك[2] ودعاهم إلى إخلاص العبادة كما قال تعالي: «فلا تدعوا مع الله أحداً» وقال: «له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء» وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع العبادات كلها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء، والأولياء، يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبي عن

---

(١) أي توحيد الربوبية.

(٢) الذي هو دعوة غير الله مع الله، قال تعالى: «فلا تدعوا مع الله أحداً» فدلت الآية الكريمة على أن دعاء الأموات ونداءهم والاستغاثة بهم من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه.

الاقرار به المشركون، وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور(١)، سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجرة، أو قبراً، أو جنياً لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد(٢). فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله) والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها. الكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق به(٣) والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إلٰه إلا الله، قالوا: «أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً؟ إن هذا لشيء عجاب؟».

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك(٤) هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله(٥)،

---

(١) أي طلب الشفاعة منهم والتوجه إلى الله بدعائهم من دون الله ومع الله.

(٢) مراده بالسيد ما يعتقده الجهال في بعض الأشخاص الدجالين والمشعوذين الذين يلبسون على العوام بانهم أهل كرامات وتصرف في الأمور وأنه ينبغي الالتجاء إليهم ودعاؤهم والتوسل بهم إلى الله، فالعامة يسمون هذا الدجال سيداً وهذا معروف معلوم وهذا مراد الشيخ رحمه الله

(٣) أي تعلق القلب به سبحانه فلا يرجى أحد سواه ولا يدعى غيره ولا تطلب الحوائج إلا منه ولا يستعان إلا به.

(٤) أي يظن تفسيرها والمراد منها هو مجرد النطق بها وهذا ظن فاسد، بل المراد منها إفراد الله بالتعلق آخر ما بينه المصنف رحمه الله من مراد النبي بهذه الكلمة.

(٥) وأقول ما أكثر هذا الصنف ــ لا كثرهم الله ــ ظنوا أن معنى هذه الكلمة والمراد منها، هو توحيد الربوبية فلهذا جهلوا توحيد العبادة وصرفوه لغير الله فطلبوه من الأموات والغائبين وسألوهم مالا يقدر عليه إلا الله وهذا هو الشرك الأكبر وإن سموه توسلًا تدليساً وتلبيساً.

فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إلهَ إلا الله .

إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحدٍ سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال تعالى: «قل بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون». وأفادك أيضا الخوف العظيم[1]، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل، فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، خصوصاً إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم، أنهم أتوه قائلين: «اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة». فحينئذٍ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا[2] وأمثاله.

وأعلم أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى: «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً»، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى: «فلما جاءتهم رسلهم بالبينات، فرحوا بما عندهم من العلم».

---

(١) وهو الفائدة الثانية.

(٢) أي من الكفر وأسبابه فإن هؤلاء العلماء الصلحاء طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً يدعونه مع الله ومن دون الله، وهذه حال عباد القبور في هذه العصور تقربوا إلى الله بدعوة الأموات والذبح لهم والاستغاثة بهم، وهذا كفر يطردهم من رحمة الله.

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل: «لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم»، ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف «إن كيد الشيطان كان ضعيفاً»، والعامي من الموحدين يغلب الفاً من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: «وإن جندنا لهم الغالبون» فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان(١)، كما هم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله «تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال تعالى: «ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً»، قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

وأنا أذكر لك أشياء(٢) مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل، أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن

(١) والمراد بجند الله هنا الذين أدوا ما أوجب الله عليهم وعملوا بما وهبهم من العلم النافع والعمل الصالح وأصغوا إلى حجج الله وبيناته وأقبلوا على تعلم ذلك بصدق عزيمة وإخلاص نية ودعوا الناس إلى ذلك، فإن نشر العلم النافع والدعوة إليه من الواجبات ولو لم يطلب ذلك من الإنسان كما ذكره المصنف في أول الثلاثة الأصول.

(٢) أراد رحمه الله أن يبين أشياء من حال أعداء الله ورسله القاعدين بالطريق الموصلة إلى معرفة دين الله ليصدوا الناس عنه.

عقلها، وذلك قوله تعالى: «وهو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله»، وقد صح[1] عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»، مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين: «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»، وأن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجاوبه بقولك: إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: هؤلاء شفعاءنا عند الله» هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله، وهذا جواب سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله، فلا تستهون به، فإنه كما قال تعالى: «وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم».

وأما الجواب المفصل، فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً، فضلا عن عبد القادر أو غيره،

---

(١) أي الصحيحين من حديث عائشة.

ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم[1]، فجاوبه بما تقدم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة. واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه[2] ووضحه، فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين أصناماً؟ فجاوبه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب»، ويدعون عيسى بن مريم وأمّه، وقد قال الله تعالى: «ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون»، واذكر قوله تعالى: «ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون»، وقوله تعالى: «يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق»، الآية، فقل له: عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام، وكفر أيضا من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله ﷺ، فإن قال: الكفار يريدون منهم: وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من

(١) أي بواسطتهم بأن يجعلهم وسائط بينه وبين الله القريب المجيب وهذا هو الذي عليه عباد الأموات وهو كفر بإجماع العلماء.

(٢) أي من الآيات الدالة على كفر من دعا غير الله من الأموات والأحجار والأشجار تقربهم بالذبائح والنذر.

الله شفاعتهم. فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء فاقرأ عليه قوله تعالى: «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفىٰ»، وقوله تعالى: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله».

وأعلم أن هذه الشبه الثلاث[1] هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله وضعها في كتابه، وفهمتها فهما جيداً فما بعدها أيسر منها، فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وهذا الإلتجاء إلى الصالحين، ودعاؤهم ليس بعبادة، فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك؟ فإن قال: نعم، فقل له: بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها[2] فبينها له بقولك: قال الله تعالى: «ادعوا ربكم تضرعاً وخيفة»، فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟ فلابد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة، فقل له: إذا أقررت أنه عبادة لله ودعوت الله ليلًا ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلابد أن يقول نعم، فقل له: إذا عملت بقول الله إذ قال الله: «فصل لربك وأنحر»، وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة، فلابد أن يقول: نعم، فقل له: إذا نحرت لمخلوقٍ نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله، فلابد أن يقر، ويقول: نعم، وقل له أيضا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلابد أن يقول: نعم، فقل له: وهل كانت عبادتهم

(١) الأولى قولهم نحن لا نشرك بالله والثانية قولهم الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام والثالثة قولهم للكفار يريدون منهم الخ.

(٢) لأنه يزعم أن الالتجاء إلى الصالحين ودعاءهم ليس بعبادة وهذا عين الجهل بالعبادة وهو الذي عليه عباد الأموات سموا هذه العبادة توسلًا وصرفوها لغير الله.

إياهم إلا في الدعاء والذبح والإلتجاء ونحو ذلك، وإلا فهم مقرون أنهم عبيد الله وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم، والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جداً.

(فإن قال) أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها فقل: لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافع والمشفع وأرجو شفاعته، لكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى: «قل لله الشفاعة جميعاً» ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال عز وجل: «من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال عز وجل: «ولا يشفعون إلا لمن أرتضى» وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه»، فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا بعد إذنه ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحدٍ حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد، تبين لك أن الشفاعة كلها لله وأطلبها منه وأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيَّ، وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله، فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال: «فلا تدعوا مع الله أحداً»، وأيضا فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون والافراط يشفعون والأولياء يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم، فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت لا، بطل قولك أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئا حاش وكلا ولكن الإلتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك

أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره، فإنه لا يدري، فقل له: كيف تبريء نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه، أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، فهذا يكذبه القرآن، كما في قوله تعالى، «قل من يرزقكم من السماء والأرض» الآية، وإن قال هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون، إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع عنا ببركته، فقد صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، ويقال له أيضا قولك، «الشرك عبادة الأصنام»، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الأعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا؟ فهذا يرده ما ذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين فلابد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل: وما الشرك بالله فسره لي؟ فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام فسرها لي[1]؟ فإن قال أنا لا أعبد إلا الله (وحده) فقل: ما معنى عبادة الله وحده فسرها لي؟ فإن فسرها بما بينه القرآن فهو

(١) معنى عبادة الأصنام اتخاذها وسائط بأن يتقرب إليها عابدها بما يزعم أنه يقربه إلى الله كالذبح لها والنذر ودعائها كما يفعله المشركون عباد الأموات.

المطلوب[1]، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه، وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، أو أنه الذي يفعلون في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا: (أجعل الآلهة إلهًا واحداً، إن هذا لشي عجاب).

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه[2] المشركون في زماننا هذا «الاعتقاد»، هو الشرك الذي أنزل في القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين: (أحدهما) أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى: (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم، وكان الإنسان كفوراً)، وقوله: (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة، أغير الله تدعون إن كنتم صادقين، بل إياه تدعون، فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون)، وقوله: (وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا ـــ إلى قوله ـــ قل تمتع بكفرك قليلًا إنك من أصحاب النار)، وقوله: (وإذا غشيهم

---

(١) وقد بين الله سبحانه وتعالى العبادة التي أمر بها عباده في كتابه فقال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية، وغيرها من الآيات الدالة على ذلك.

(٢) قد سبق قول الشيخ رحمه الله وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الإعتقاد ومراده رحمه الله أن المشركين تقربوا إلى الله بدعاء الأصنام والأوثان والملائكة والصالحين، وصرفوا لهم أنواع العبادة من الذبح والنذر والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة معتقدين أن ذلك قربة إلى الله ينالون به الزلفى لديه ولكنهم بهذا العمل صرفوا توحيد العبادة لغير الله فبذلك صاروا مشركين وسموا شركهم اعتقاداً بالأولياء والصالحين وما هو إلا الشرك الأكبر المنابذ لدين الله تعالى.

موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين)، فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً؟ والله المستعان[1].

والأمر الثاني ــ أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة ويدعون أشجاراً وأحجارا مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناس من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا، والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك[2] والذي يعتقد في الصالح الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم فاصغ سمعك لجوابها وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إلهَ إلا الله، ويكذبون الرسول، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إلهَ إلا الله

---

(١) وأقول إن من نعم الله على عباده أن التوحيد الصحيح المبني على الكتاب والسنة قد انتشر في هذا الزمن وكثر أتباعه والدعاه إليه وذلك رحمة من الله لعباده ثم بسبب انتشار كتبه كمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم وشيخ الإسلام المصنف وأولاده وتلاميذهم فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

(٢) بل آل الأمر إلى أنهم يحكمون هذه القبائح ويعدونها من الكرامات كما يفعله الشعراني في كتبه.

وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين»، ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله، كما قال جلا جلاله: «إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون: نؤمن ببعض، ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذاباً مهينا»، فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا(١).

ويقال: إذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة، أنه كافر حلال الدم بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث(٢)، وكذلك إذا جحد وجوب صوم رمضان لا يجحد هذا، ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، هو أعظم من

(١) كانت الأحساء في زمن الشيخ آهلة بالعلماء من سائر المذاهب فعاند بعضهم وهدى الله بعضاً فاتبع الحق والهدى بتوفيق الله.

(٢) أي فهو كافر حلال الدم والمال.

الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر؟ ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر، سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل(١).

ويقال أيضا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إلهَ إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويؤذنون، فإن قال: إنهم يقولون: إن مسليمة نبي، قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ، كفر وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف، أو صحابيا، أو نبيا، في مرتبة جبار السموٰات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه، (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون).

ويقال أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في عليٍّ، مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في عليٍّ ابن أبي طالب يكفر؟

ويقال أيضا: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان

---

(١) أقول إذا ظهر السبب بطل العجب فالمشركون عباد الأموات اعتقدوا أن صرف مخ العبادة لغير الله ليس بشرك وإنما الشرك هو السجود للأصنام وأما الدعاء والذبح والنذر والاستغاثة بغير الله فهو مما يقربهم إلى الله وقد صرحوا بذلك في كتبهم، ومع ذلك فقد سجدوا لغير الله، يعرف ذلك من درس أحوالهم وشاهد كفرهم عند ضرائح أوثانهم.

بني العباس كلهم يشهدون أن لا الهٰ إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب «باب حكم المرتد» وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب .

ويقال أيضا: الذين قال الله فيهم: (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) أما سمعت أن الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون، وكذلك الذين قال الله فيهم: (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح، فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تكفرون المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، (ثم تأمل) جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق(١).

(١) وذلك أن شبهتهم من أقوى الشبه تلبيساً وأشد تدليسا فإن من شهد أن لا إله إلا الله وصلى وصام عظم إطلاق الكفر عليه عند الجاهل ولم يعلم أنه هدم هذه الأعمال بشركه ودعوته غير الله فلم تنفعه عبادته لأن من لم يأت بالتوحيد الخالص لم يعبد الله فلهذا صار هذا الجواب من أنفع الأجوبة .

ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله عنه بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى: (اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة)، وقول ناس من الصحابة: «اجعل لنا ذات أنواط» فحلف ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهًا.

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون: فإن بني إسرائيل لم يكفروا، وكذلك الذين قالوا: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا، فالجواب أن تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا، ولا خلاف في أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرر ومعرفة أن قول الجاهل (التوحيد فهمناه) إن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان «وتفيد» أيضا أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ، «وتفيد» أيضا أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديداً كما فعل رسول الله ﷺ.

وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إلهَ إلا الله، وقال له: «أقتلته بعد ما قال لا إلهَ إلا الله؟»، وكذلك قوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يُكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، فيقال لهؤلاء الجهلة: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إلهَ إلا

الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إلهَ إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم عليُّ بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة يقولون: إن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إلهَ إلا الله، وأما من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع؟ وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلًا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله تعالى في ذلك: «يا أيها الذين أمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا» أي تثبتوا، فالآية تدل عى أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: «فتبينوا» ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ هو الذي قال: «أقتلته بعد ما قال: لا إلهَ إلا الله؟»، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلهَ إلا الله» هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» مع كونهم من أكثر الناس عبادة، وتهليلا وتسبيحا، حتى أن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وتعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم «لا إلهَ إلا الله» ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة.

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا»، وكان الرجل كاذباً عليهم، وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.

ولهم شبهة أخرى وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوحٍ، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً.

والجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى «فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه» وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله، إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجلٍ صالحٍ حي يجالسك ويسمع كلامك تقول له: ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته، فحاشا وكلا أنهم سألوا ذلك عند قبره، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه؟

ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال له: ألك حاجة؟ فقال ابراهيم أما إليك فلا،

فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى: فيه: (شديد القوى) فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره الله يضع إبراهيم عنهم في مكان بعيد لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلًا محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه ويهبه شيئاً يقضي به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون(١)؟

ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول(٢):

ولا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: إن هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلًا) وغير ذلك من الآيات، كقوله: (يعرفونه

---

(١) الأموات لا يسمعون دعاء من دعاهم ولا استغاثة من استغاث بهم وذلك بنص القرآن، قال تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) فعباد الأموات لا يزالون وهم في ضلال ما داموا يدعونهم مخالفتهم نص القرآن.

(٢) هذه المسألة يترجم لها في كتب التوحيد بمسألة الإيمان وأنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.

كما يعرفون أبناءهم)، فإن عمل بالتوحيد عملًا ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه، فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار).

وهذه المسألة مسألة طويلة تبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به، لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحدٍ، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله: **أولاهما**، قوله تعالى: (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول ﷺ، كفروا بسبب كلمةٍ قالوها على وجه اللعب والمزح، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراةٍ لأحدٍ، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها، والآية الثانية قوله تعالى: (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) الآية فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعل خوفاً أو مداراة، أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعل على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره.

فالآية تدل على هذا من وجهين: الأول قوله تعالى: (إلا من أكره)، فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها، والثاني قوله تعالى: (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة)، فصرح أن الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض

للدين ومحبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين، والله سبحانه وتعالى أعلم وأعز وأكرم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(تمت والحمد لله رب العالمين)

الرسالة المفيدة المهمة الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فاعلم أرشدك الله تعالى أن الله خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال الله تعالى: «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون».

★ ★

والعبادة هي التوحيد لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه، كما قال تعالى: «ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت».

وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أما توحيد الربوبية، فهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ﷺ، ولم يدخلهم في الإسلام وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم، وهو توحيده بفعله تعالى، والدليل قوله تعالى: «قل من يرزقكم من السماء والأرض؟ أمَّن يملك السمع والأبصار؟ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟ ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون: الله فقل أفلا تتقون!!»، «قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون: لله، قل: أفلا تذكرون! قل: من رب السموٰات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون: لله، قل: أفلا تتقون! قل: من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون؟ سيقولون: لله، قل: فأني تسحرون»، والآيات على

هذا كثيرة جداً أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر .

(**وأما الثاني**) وهو توحيد الألوهية: فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة .

ودليل الدعاء قوله تعالى: «وقال ربكم أدعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين»، وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن .

★ ★

وأصل العبادة تجريد الإخلاص لله وحده وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، قال تعالى: «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً، وقال تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» وقال تعالى: «له دعوة الحق ــ إلى قوله ــ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال»، وقال تعالى: «ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير» والآيات معلومات، وقال تعالى: «وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وقال تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم» .

(**واما الثالث**) فهو توحيد الذات والأسماء والصفات، قال تعالى: « قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»، وقال تعالى: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون»، وقال تعالى: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» .

ثم اعلم أن ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي .

والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالًا بعيداً» .

«وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار» .

وهو أربعة أنواع :

(**النوع الأول**) شرك الدعوة، والدليل قوله تعالى: «فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون» .

(**النوع الثاني**) شرك النية والإرادة والقصد، والدليل قوله تعالى: «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون» .

(**النوع الثالث**) شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحداً لا إلهَ إلا هو سبحانه عما يشركون» : وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، طاعة العلماء والعباد في المعصية لادعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ، لعدي بن حاتم لما سأله، فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية .

(**النوع الرابع**) شرك المحبة، والدليل قوله تعالى: «ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله».

★ ★

(**والنوع الثاني**) شرك أصغر، وهو الرياء، والدليل قوله تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً».

★ ★

(**والنوع الثالث**) شرك خفي، والدليل عليه قوله ﷺ: (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل) وكفارته قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم واستغفرك من الذنب الذي لا أعلم).

فالكفر كفران: كفر يخرج من الملة وهو خمسة أنواع:

(**النوع الأول**) كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى: «ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه، أليس في جهنم مثوى للكافرين».

(**النوع الثاني**) كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين».

(**النوع الثالث**) كفر الشك وهو كفر الظن، والدليل قوله تعالى: «ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال: ما أظن أن تبيد هذه أبداً، وما أظن الساعة قائمة، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً، قال له صاحبه وهو يحاوره: أكفرت بالذي خلقك من تراب، ثم من

نطفة، ثم سواك رجلًا؟! لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً» .

(**النوع الرابع**) كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: «والذين كفروا عما أنذروا معرضون» .

(**النوع الخامس**) كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: «ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون» .

وكفر أصغر لا يخرج من الملة وهو كفر النعمة، والدليل قوله تعالى: «وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» .

وأما النفاق فنوعان: اعتقادي وعملي .

فأما الاعتقادي فهو ستة أنواع. تكذيب الرسول ﷺ أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول أو المسرة بانخفاض دين الرسول أو الكراهية لانتصار دين الرسول، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار .

وأما العملي فهو خمسة أنواع، والدليل قوله ﷺ. (آية المنافق ثلاث. إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر) . نعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الأدب. والله أعلم .

كتـــاب

مفيـــد المستفيـــد

في

كفـــر تارك التوحيـــد

تأليـــف

شيخ الاسلام مجدد الدعوة المحمدية الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله له الثواب وادخله الجنة بغير حساب

آمين

قام بتحقيقه ومقابلة اصوله ومقارنتها بمصادرها

والتعليـــق عليـــه

فضيلة الشيخ اسماعيل بن محمد الأنصاري

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

آمين